سهم ابن السبيل

س: نتناول في حلقاتنا هذه مصارف الزكاة، وسهامها والتي وصلنا في عرضها إلى السهم الثامن سهم ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ ونحب أن تعطينا فكرة عن مفهوم ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ وأهمية هذا السهم بين سهام الزكاة المقررة؟

ج: الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه. وبعد فإن السبيل كما بينا من قبل هو الطريق، ومن ثم فإن ابن السبيل هو الشخص الذي أصبح ابناً للطريق. لا يجد له مأوى غيره، أي أنه الشخص الذي انقطعت عنه الوسائل التي يستخدمها، ويحتاج إلى من يعينه وينتشله من الوضع الذي وصل إليه. وينطبق هذا الوصف على كثير من الناس، فالمسافر الذي نفدت نفقته أو ضاعت نقوده مثلاً، ولا يجد ما يصل به إلى غرضه الذي هو ذاهب إليه، أو ما يعود به إلى وطنه، هو ابن سبيل. واللاجئ الذي ضيق عليه في وطنه، فخرج يبحث له عن مأمن من ملاحقة المستعمر أو متابعة الحاكم الظالم هو من أبناء السبيل، ومن حلت بهم الكوارث ففقدوا دورهم وأموالهم ونصبوا خيامهم على قارعة الطريق هم من أبناء السبيل والمشردون وأطفال الشوارع الذين لا يجدون ما يؤويهم ولا يجدون ما ينفقون واللقطاء الذين يلقى بهم في الشارع هم من أبناء السبيل، وطلاب العلم الوافدون في غير أوطانهم إذا كانوا فقراء فهم من أبناء السبيل وهكذا فابن السبيل يشمل العديد من الحالات والمواقف التي تواجه الإنسان في حياته.

س: كأنك ترى أن ابن السبيل غير مقصور على المسافرين الذين انقطعت بهم الطرق، وغابوا عن أموالهم التي في بلادهم؟

جـ: نعم أنا أختار الرأي الفقهي الذي قال به بعض الفقهاء المتأخرين، والذي يرى أن كل من لزم الطريق وأصبح الطريق له أباً وهو للطريق ابن فهو مستحق للزكاة من سهم «ابن السبيل» ينطبق ذلك كما قلنا على اللقطاء والمشردين وأطفال الشوارع والناجون من الكوارث، ومن باب أولى المسافر المجتاز ببلد الزكاة الذي نفدت نفقته، وهو ابن السبيل التقليدي الذي يعطيه كل الفقهاء من الزكاة ولو كان غنياً ببلده.

س: لقد أثرت موضوعاً على جانب كبيرٍ من الأهمية عندما أدخلت اللقطاء وأبناء الشوارع الذين يمثلون مشكلة اليوم، ويمكن علاجها عن طريق تقديم الزكاة للدور والملاجئ التي تبحث عن هؤلاء، وتستقبلهم وتقدم لهم شتى احتياجاتهم من إعاشة وتعليم وغير ذلك.

جـ: نعم هذه الفئات اليوم هي الأولى بالرعاية، لضعفها وحاجتها من ناحية ولخطرها على المجتمع مستقبلاً إذا لم نحسن إليها بالتربية والتعليم، ولقد قلنا من قبل إن من إعجاز تشريع الزكاة صلاحيته لمواكبة التطور الحادث في مختلف جنبات الحياة، والمسافر المنقطع الذي كان هو ابن السبيل وحده في الماضي أوشك أن ينتهي بتقدم وسائل المواصلات، وسهولة تحويل الأموال بين جنبات الأرض الأربعة، فهنا نجد التعبير القرآني يمدنا بصلاحية تطبيقه على حالات لم يذكرها الفقهاء القدامى، لكنها تدخل في صلب معنى «ابن السبيل» ومثال لذلك ما ذكره الشيخ رشيد رضا تبريراً لرأيه الذي يرى أن اللقطاء يدخلون في ابن السبيل حيث يقول: «إن الفقهاء الأقدمين لم يقولوا بذلك، لندرة اللقطاء في أيامهم، والفقهاء المتأخرون في تآليفهم يكتفون

بالنقل عنهم. أما من يضع اللفظ القرآني أمام ناظريه، يجد اللقطاء أبناء سبيل، فليس لهم إلا الطريق أباً، وجدوا على قارعته، وأخذوا من فوق أرضه فهم أبناء سبيل قطعاً.

س: استتباعاً لما أوضحت يا دكتور، هل المتسولون الذين يقفون على قارعة الطريق يتكففون الناس، يعتبرون من أبناء السبيل؟

ج: لقد أعطى بعض علماء الحنابلة تفسيراً لابن السبيل يفيد هذا الذي ذكرت، فقد ذكر أن أبناء السبيل هم السؤال. يعني المتسولين الذين يتكففون الناس ويسألونهم. ولعل من أشد المظاهر إساءة إلى المجتمعات التي تنتسب إلى الإسلام أن نجد فيها ظاهرة التسول، حيث ينتشر أناس حرموا نعمة المأوى والسكن، واتخذوا من الشوارع وأرصفة الطرق مكان إقامة يفترشون أرصفتها ويلتحفون بهوائها، فهؤلاء وصمة عار في جبين هذه المجتمعات، التي أعطيت شريعة كاملة فيها علاج لكل جوانب الحياة، لكنها عطلتها وغفلت عن تطبيقها، وراحت تتسول الحلول من مجتمعات أخرى، لا تملك مثل ما نملك من أنظمة قادرة وتشريعات قويمة ليس لها نظير في نظام من الأنظمة أو شريعة من الشرائع. إن سهم ابن السبيل لو وجه إلى علاج هذه التشوهات، لوفر مسكناً لكل مشرد، وإعاشة لكل متسول، وعملاً لكل متعطل، وتربية لكل لقيط بل وتنظيفاً وبناء للطرق والجسور التي يحتاج إليها أبناء السبيل في سفرهم عليها.

س: هل يجوز أن ينفق جزء من سهم «ابن السبيل» على بناء الطرق؟

ج: نعم، فسهم ابن السبيل وإن كان الأصل فيه أن ينفق على المارين بالطريق إلا أنه يمكن أن ننفق جزءاً منه على إصلاح الطريق نفسه، فإذا كنا نعطى ابن السبيل

راحلة يصل عليها إلى بلده، فإن تمهيد الطريق أمام الراحلة يعتبر من لوازم قدرته على الوصول عليها، وفضلاً عن ذلك فإن لأبي يوسف صاحب أبي حنيفة رحمهما الله تعالى رأياً يقول بتخصيص سهم كامل من سهام الزكاة ينفق على إصلاح الطرق وتمهيدها، ويوافقه على ذلك الفقيهان الكبيران الحسن وعطاء، أو هو يوافقهما رحمهم الله جميعاً. وكأنهم يقولون بإعطاء ابن السبيل سهمين من الزكاة، سهم ينفق عليهم بشق الطرق والعناية بها، وسهم ينفق عليهم بتوفير المؤن والراحة على الطريق.

أليس في هذا التشريع حل لمعظم المشاكل التي نشاهدها على طرقنا، وفي شوارعنا؟ أليس في هذا التشريع إعجاز يتبدى لنا اليوم، عندما تصبح الطرق شرايين الحياة وأساساً من أسس التقدم والنمو والازدهار، ويكون تشريعنا قد سبق إلى العناية بها قروناً طويلة، فلماذا نغفل عما يصلح حالنا، وينظم أمورنا وينقذنا مما نوشك أن نتردى فيه؟

لله الأمر من قبل ومن بعد، وهو ولي التوفيق